

الأهمية الأثرية والتاريخية لجبل سيسي إقليم الشلال الثالث

أستاذ مشارك - قسم الآثار
جامعة الخرطوم

د. عبد الرحمن إبراهيم سعيد علي

مستخلص:

تتناول هذه الورقة تاريخ واثار منطقة تعد من المناطق الأثرية المهمة، والتي تحتوي علي مواقع أثرية تعود لفترات تاريخية مختلفة من فترة العصور الحجرية وحتى الفترة الإسلامية وهي منطقة الشلال الثالث. ومن خلال الدراسة أوضحت أن موقع جبل سيسي موقع إستراتيجي ونموذج لدراسة استيطان الجبال ويمكن تطبيقه علي العديد من المناطق التي شهدت استيطان مماثل له. وتحاول الورقة ابراز اهم اثار تلك المنطقة (سيسي) والتي تحتوي علي مباني تعود لفترات تاريخية مختلفة، منها قلعة ضخمة بنيت من الطوب اللبن والطين والحجارة، بالإضافة الي عدد من المدافن. ولهذا الجبل عدد من الأدوار التي كان يلعبها سابقا (اجتماعيا - سياسيا - دينيا - اقتصاديا).

The Archaeological and historical importance of Sese mountain: The third cataract region

Abdelrahman Ibrahim Said Ali

Abstract:

This paper highlights on the history and antiquities of an important archaeological area, which contains archaeological sites dating back to different historical periods from the Prehistory to the Islamic era, which is the third cataract region. Through the study, it became clear that the location of Sesi Mountain is a strategic one, and it is a model for studying the settlement of mountains, and it can be applied to many areas that witnessed similar settlement. The paper attempts to highlight the most important monuments of that region (Sesi), which embraces buildings dating back to different historical periods, including a huge castle built of mud bricks, mud and stones, in addition to a number of graves. This mountain has a number of roles that it used to play previously (socially - politically - religiously - economically).

مقدمة:

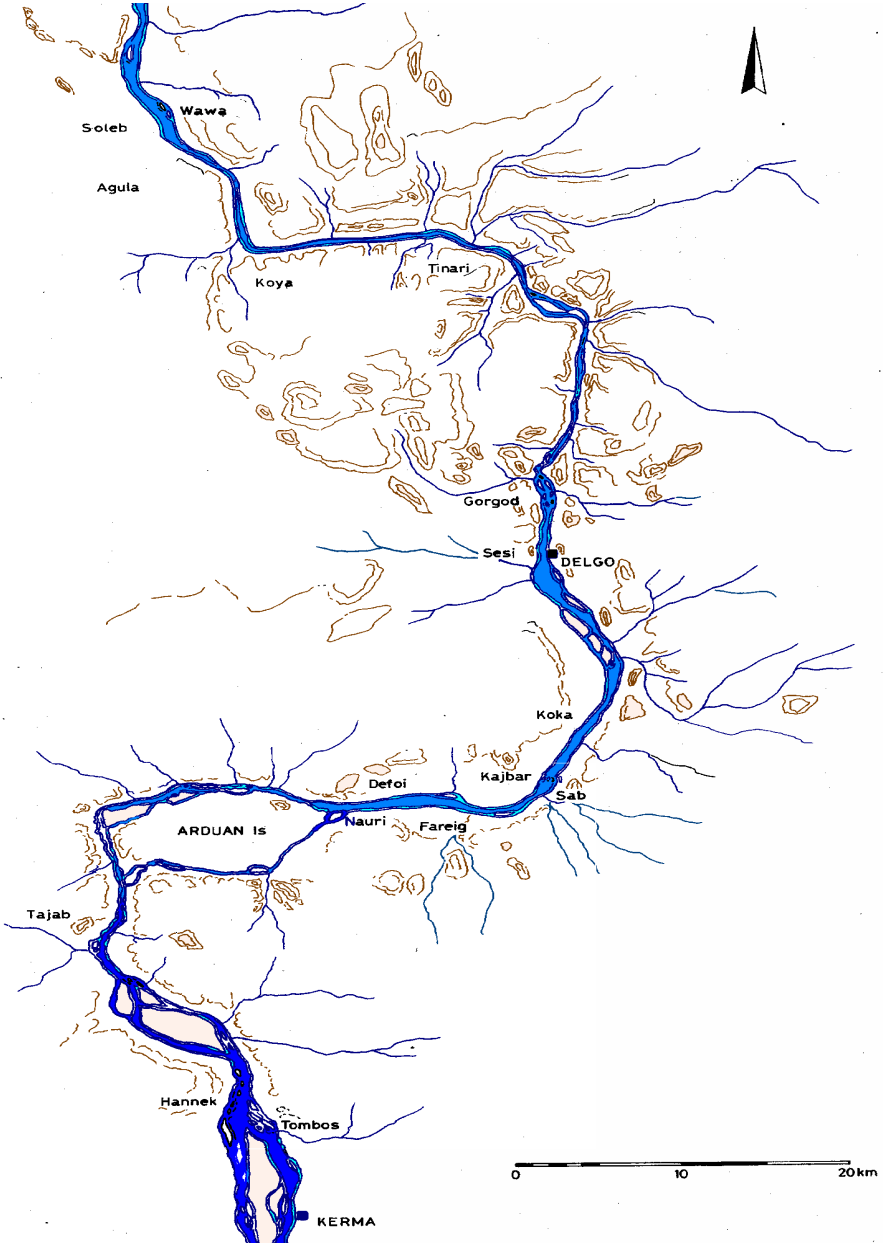
تمتد منطقة المحس (إقليم الشلال الثالث) على طول نهر النيل من الحدود الجنوبية لمنطقة السكوت حتى الحدود الشمالية لمنطقة إقليم دنقلا. ويقع هذا الإقليم (المحس) بين خطي عرض 19 42° - 21° شمال خط الاستواء. ونجد أن حدود منطقة السكن على الجانبين (الضفة الشرقية والغربية)، على مساحات محدودة على طول نهر النيل حوالي 125 كلم على جانبي النيل. والمنطقة عموماً بها حوالي (45) قرية موزعة ما بين الجانبين وهي ذات أحجام مختلفة، حيث نجد أن حوالي (27) قرية على الضفة الشرقية و(18) قرية على الضفة الغربية إضافة إلى (8) جزر صغيرة داخل النيل على طول المنطقة (Osman1:1998:3).

وتعتبر منطقة الشلال الثالث هي واحدة من أغنى مناطق السودان وأكثرها كثافة وتنوعاً من حيث المعطيات البيئية، والأدلة الثقافية والتاريخية خاصة في فترة العصر الوسيط تبعاً لموقعها المتميز بين إقليم النوبة السفلى وإقليم دنقلا.



صورة جوية رقمية (1)

حدود منطقة الدراسة

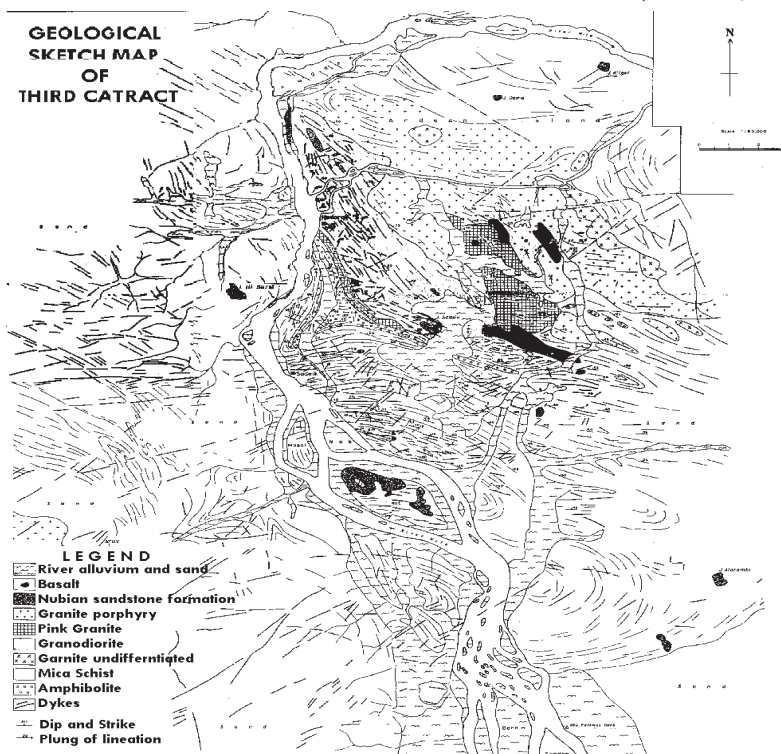


خريطة رقم (1)
منطقة إقليم الشلال الثالث

جيولوجيا المنطقة:

من المعروف أن الصحراء النوبية بها تنوع في الطبيعة الجيولوجية، حيث نلاحظ أن الصخور الرملية والجرانيت يلعبان دوراً كبيراً في هذا التنوع. وفي هذه المنطقة نجد أن مجرى النيل ضيق ومنساب وتخلله بعض الجذر والشلالات وهناك أنواع أخرى من التربة (Adams:1977:13).

وتكثر بمنطقة الشلال الثالث الخيران والأودية وهذا يدل على إحاطتها بالجبال. وهذه الخيران ضيقة وطويلة وتعتبر ممرات طبيعية للأمطار التي تسقط في الصحراء وتصب في النيل. وتعتبر الخيران مؤشراً لدراسة التغيرات البيئية عبر الحقب الجيولوجية المختلفة (Dawoud and Ahmed,; Vail:1973:33).



خريطة رقم (2)

جيولوجيا منطقة الدراسة

البيئة الطبيعية:

تقع هذه المنطقة في مناطق المناخ الصحراوي حيث تقل الأمطار، وقد تنعدم تماماً أحياناً لعدة سنوات. حيث لا يتجاوز المطر 90 ملم في أعلى مستوياته، ونجد أن معظم شهور السنة جافة.

وترتفع درجات الحرارة وتصل إلى أقصاها في شهري مايو ويونيو ومتوسط درجة الحرارة اليومية عادة ما يصل فوق الـ 30° فهرنهايت. وترتفع الرطوبة في منتصف اليوم على حوالي 10% في شهري مايو ويونيو و15% في أغسطس. أما الشتاء فيصبح الجو بارداً لفترة 4 أشهر ومتوسط درجة الحرارة يتراوح ما بين 15-20 درجة (60° فهرنهايت) حيث تنخفض الحرارة في شهر يناير (Adams:Op.Cit:16). وتؤثر علي الاراضي الزراعية العديد من العوامل مثل تقدم التلال الرملية (الزحف الصحراوي) التي تنتقل بخطى ثابتة نحو الأراضي الزراعية (Dawoud and Ahmed;Vail:Op.Cit :36).

السكان:

يسمى سكان المنطقة بالمحس، وهم فرع من فروع المجموعة النوبية الذين يقطنون في المنطقة الواقعة بين أسوان والدبة ومنطقة خشم القربة في إقليم البطانة، وكومبو في صعيد مصر، وللتين كانتا دار هجرة للنوبيين المهاجرين من مناطقهم التي غمرتها مياه السد العالي في بداية الستينات من القرن الماضي(عوض:1956:43). ويمثل السكان الحاليين للإقليم جزءا من المحس الذين يسكنون المنطقة ما بين تمبس في الجنوب و صلب في الشمال (Osman2:op`cit:34).

الحيوانات:

تذخر المنطقة بالحيوانات البرية مثل الغزلان، الأرانب، الفئران، الثعالب والذئاب، كما نجد الحيوانات الأليفة مثل الماشية التي تستخدم في الأغراض الزراعية والنقدية، بالإضافة إلى الخراف والماعز والحمير والإبل وتوجد الكلاب والقطط، إضافة إلى الدواجن مثل (الدجاج والحمائم والبط البري، الغربان والعصافير، الهدهد والصقور) والطيور المهاجرة، أما الحيوانات المائية فتوجد أنواع كثيرة من الأسماك التي تعتبر مصدر غذائي هام، وتوجد أيضاً التماسيح النيلية ولكنها نادراً ما ترصد وتوجد الزواحف النيلية النادرة مثل السلحفاة والورل (Osman3:1989:7).

النباتات:

توفر البيئة النيلية بالمنطقة تربة صالحة لأنواع متعددة من النباتات تنمو في مجرى النيل وعلى ضفتيه، حيث نجد أشجار النخيل والدوم وحشائش الحلفا، أشجار السنط- الهشاب- الطلح- السدر- الطرقة والطنبد إلى جانب النباتات النيلية مثل المرمندي (Marmandi) والسيسبان والتنوم والجورقي والتبر. كما تنمو في الخيران نباتات العشر والحرجل والهمبري (السنمكا) (Osman3:Ibid:5).

الاقتصاد:

تمتاز منطقة المحس بمعطيات اقتصادية جعلت منها بؤرة أو مرتع خصب للإنسان منذ القدم. كما جعلتها جاذبة للانتباه منذ قديم الزمان، فالمصادر الطبيعية التي تمتلكها المنطقة وغيرها شجعت على الاستقرار فيها، كما نجد المناطق الزراعية (السهلية) على جانبي النيل على الرغم من ضيقها إلا أنها خصبة (ابوسليم:1980:201).

خلفية تاريخية:

برهنت أعمال المسح الآثاري الذي تم في المنطقة على وجود إرث ثقافي وعمراني تليد، والذي يشتمل على عدد كبير من مواقع ما قبل التاريخ والمواقع التاريخية.

كما حظيت منطقة المحس بزيارة عدد من الرحالة، منذ فترات قديمة، ففي الفترة التي كانت فيها السيادة للمملكة المسيحية، زارها ابن سليم الأسواني الذي بعثه جوهر الصقلي في عهد الدولة الفاطمية لدعوة الملك (جورج) إلى الإسلام، وكان ابن سليم قد وصف الآثار الموجودة في منطقة المحس. كما زارها الرحالة التركي إيليا شلبي في عهد الدولة العثمانية، وعبر إيليا شلبي منطقة المحس وقد ذكر عدد من المناطق الأثرية (Celbi:1938). وقد أكدت الاكتشافات الأثرية صحة وصفه الجغرافي والسياسي لمنطقة المحس وشاهداً على معرفته الدقيقة بها وصف وصحة ما ورد في الخريطة التركية المصاحبة لرحلته، والتي يبدو أنها رسمت حوالي عام 1785م، ووجدت ضمن المجموعة (The Bilioreca Vaticana). وبعد الدراسة المتأنية لما كتبه إيليا شلبي، وبعد أن تم تنفيذ مشروع المسح الآثاري والتراثي لمنطقة المحس التابع لقسم الآثار جامعة الخرطوم بالاشتراك مع المعهد البريطاني بشرق أفريقيا. وقد كانت البداية 1990م، وهو مستمر حتى الآن.



خريطة رقم (3) تصميم الباحث
مواقع منطقة الدراسة

موقع سيسى (Sesi): 32 557 E - 261 06 N 20

يقع جبل سيسا علي الضفة الغربية للنيل، بالقرب من قرية سدلة والتي يترتبط بها إداريا، بينما تنحدر سلسلة جبل سيسي في قرية هندكة شمالا، كما وتعرف المستوطنة الحديثة شمال الموقع بـ (الربة) بينما القرية الصغيرة جنوب جبل سيسا هي كنسطة. وعلي قمة الجبل توجد مباني تعود لفترات مختلفة، وقد بدأت أهمية هذا الجبل ما بعد زوال مملكة مروي وهناك دليل لاستيطان كبير لفترة ما بعد مروي، وهذا الدليل جاء من مدافن تلية كبيرة منتشرة غرب الجبل. والآثار الشاخصة علي سطح جبل سيسا هي عبارة عن آثار مدينة من العصر المسيحي (500-1500م) ، كما أن هناك آثار تدل علي وجود إسلامي في الجبل والمناطق المجاورة له. ومن خلال وصف الرحالة أيفليا شلبي لمنطقة المحس 1670-1671 نجد أن المنطقة كانت مقرا للملك وهي تحت إمرة رجل يسمى «نصرت» حتي نهايات القرن السابع عشر الميلادي (Celebi:1939).



صورة جوية رقم (1)

موقع سيسا:

أما المستوطنة الخاصة بالملكة المصرية الحديثة فقد تم التنقيب فيها في عام 1937م، والتي تعرف بسياسي. وتوجد دلائل لنقوش في الموقع ربما ترجع لحكم تحتمس الثالث، علي الرغم من إنشاء جدران المدينة والمعبد الرئيسي بواسطة (أخناتون حوالي 1350 ق.م) في أواخر الأسرة الثالثة عشر مع إعادة بناءه في حكم سبتور الأول وربما رمسيس الثاني في الأسرة الحادية والعشرين. وتبلغ مساحة المستوطنة المسورة ومجموع المعبد حوالي 200م شرق غرب $270 \times$ شمال جنوب تقريبا، كما ويبلغ ارتفاع الجدار المتآكل علي الجانب الشرقي 4 أمتار، وقد كشفت عمليات الدراسة أن المستوطنة تعرضت لاستيطان كثيف، وتوجد مباني من الطين في الجزء الجنوبي الغربي من الموقع علي مسافة تمتد لحوالي 1 هكتار مع مباني ذات إنشاء محلي تقع في الجزء الجنوبي الشرقي، مما يقترح أن المنطقة ذات الاستيطان المحلي لا تتعدي مساحتها الهكتارين.

كما توجد مدافن ضخمة تمتد لحوالي 150م غربي المدينة، وهناك آثار لمباني مثلثة الشكل بنيت من الطوب اللبن والطين، وهناك مباني علوية مكتملة البناء بنيت علي شكل رأسي (عريشة) مع غرف في الأطراف الغربية والشرقية، وتمثل المباني العلوية علي شكل أهرام صغيرة من الطوب اللبن (حوالي 3-4) في جوانبها الغربية متصلة بسيج يحيط بالقبر، وتوجد بها نقوش لرمسيس الثاني. والمدافن تدل علي استمرارية استخدامها منذ الأسرة الحادية والعشرين. وهناك أيضا مدافن صغيرة في الجانب الجنوبي لجبل سبسا، وتشير البقايا السطحية علي وجود بعض المدافن ذات حفر منحدره بغرف دفن في الطرف الشرقي، ومن خلال الفخار الذي وجد علي السطح نجد أن المدفن يعود الي فترة نبتة.

كذلك تم العثور علي مدافن كبيرة علي مساحة هكتارين لفترة ما بعد مروي والفترة المسيحية في أرض مفتوحة غرب كنسنة جنوب غرب جبل سبسا، بالإضافة الي أكوام حجرية والعديد من شواهد القبور الصغيرة. وفي قمة جبل سبسا تم العثور علي مستوطنة مسورة بها عدد من الغرف والأبراج ومادة بناءها من الطين والطوب اللبن والطوب المحروق والحجر، وقد كان هذا النوع من المستوطنات من السمات المميزة للفترة المسيحية، إذ أن هناك أكثر من موقع مسيحي به مستوطنات مبنية بنفس الطريقة مثل المستوطنة التي توجد علي جبل نوري واليكي وجبل وهابة وغيرها في منطقة الشلال الثالث. ومن المخلفات الأثرية التي تم العثور عليها الفخار الذي وجد مبعثر علي سطح الموقع، مزخرف بزخارف هندسية وأخري نباتية وبألوان مختلفة كاللون البرتقالي والأصفر وكذلك اللون الأحمر والأبيض ونوع آخر مزخرف بأشكال مستطيلة أو به منحنيات مقومة وبارزة بالنقط، شبيه بأشكال الفخار الذي وجد في عدة مواقع مسيحية مثل موقع فرس وصاي ودنقلا العجوز. وهذا يدل علي أن موقع جبل سبسا قد تم استيطانه في الفترة المسيحية. وقد تم الكشف عن الكثير من المواقع الإسلامية الأثرية في منطقة المحس، وعلي جبل سبسا (منطقة الدراسة) تم العثور علي مباني مبنية من الطوب اللبن والطين تعود للفترة الإسلامية، وكذلك تم العثور علي فخار إسلامي وآخر مزجج يعود للفترة الفاطمية مما يؤكد أن الموقع قد تم استخدامه في الفترة الإسلامية متزامنا مع الفترة المسيحية أو بعدها، فالموقع به مباني

قد استخدمت في الفترة المسيحية وأعيد استخدامها في الفترة الإسلامية وجرت بعض التعديلات في المباني بإغلاق بعض النوافذ وفتح أخرى وربما تغيرت الأبواب، وقد كان الموقع مستخدما حتي فترات قريبة حيث كان يتوج فيه ملوك مملكة كوكا، فقد كان لا تكتمل عمليات تنصيب الملك الا بعد أن يتوج في جبل سيسا، وهذا يدل علي أن الموقع كان موقع استيطان منذ قديم الزمان وحتى بعد ظهور الإسلام وظهور ممالك إسلامية، كما وأنه كان مركزا دينيا وسياسيا واقتصاديا هام في تلك الفترة والفترات التي سبقتها.

وصف الموقع: N 20 07 202 E 30 32 91

تقع المستوطنة علي الضفة الغربية للنيل وتحتوي علي مباني شيدت علي قمته، تتكون من عدد من الوحدات، وهي مبنية من الطوب اللبن والمحروق والحجر والطين وتشمل عدد من الغرف مختلفة الأشكال والأحجام، يحيط بها سور وعدد من الأبراج بطول 320 متر علي سطح الجبل.

الوحدة الأولى:

الأبراج:

البرج الجنوبي:

عبارة عن برج كبير بني الجزء الأسفل منه من الطوب اللبن والطين والجزء الأعلى من الجالوس وبه فتحات، ومن الملاحظ وجود حجارة جرانيتية سوداء من حوله، هذه الحجارة هي حجارة الحائط الجنوبي المتساقطة من حوله.



البرج الجنوبي

صورة رقم (1)

منظر عام للبرج

البرج الجنوبي الغربي:

وهو برج كبير أيضا وقد بني الجزء الأسفل منه من الحجارة والجالوص والجزء الاعلى من الطوب اللبن والطين، وقد تهدمت أجزاء منه وتوجد به فتحة علي الناحية الغربية قد أغلقت وقد تم استخدام الحجر بكثرة في البرج.



صورة رقم (2)

البرج الجنوبي الغربي

البرج الغربي:

وهو عبارة عن برج دائري الشكل بني بنفس الطريقة السابقة من الحجر والطوب اللبن والطين، وفي الناحية الشمالية الشرقية توجد بقايا لبرج اخر مهدم غير واضح المعالم.



صورة رقم (3)

البرج الغربي

الوحدة الثانية:

السور:

يحتوي الموقع علي سور ضخم يحيط به من كل الاتجاهات، مادة بناءه من الحجر والجالوص من الناحية الجنوبية والغربية، وقد تم رص الحجارة بشكل منتظم ومقطوعة بشكل جيد، وأطراف السور الجنوبي مرتفعة بلغ ارتفاعها ما بين 50-100م. أما السور من الناحية الشمالية فقد أضيف الي مادة البناء بجانب الحجر والجالوص الطوب المحروق، من الملاحظ استخدام الطوب بصورة كبيرة في هذه الناحية.



صورة رقم (4)

منظر عام للسور الغربي



صورة رقم (5)

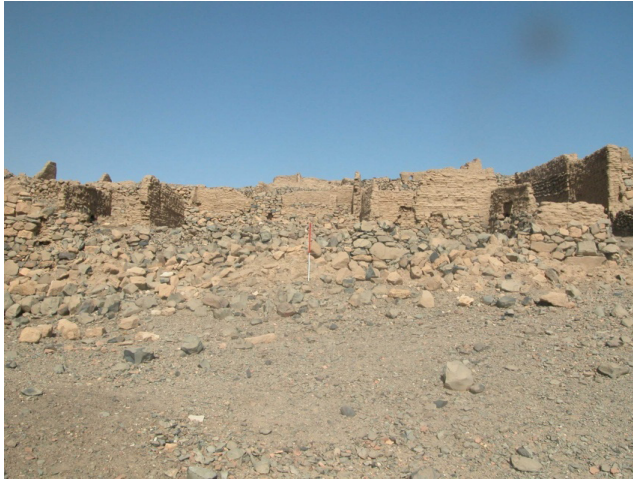
السور الشرقي من الخارج

الوحدة الثالثة:

المباني:

الغرف الجنوبية:

يوجد بهذا الجزء عدد من الغرف بأحجام وأشكال شبه متساوية تم بناء أساساتها من الحجر ومن الأعلى بالطوب اللبن والطين ويبلغ طول أحدها 5.85 متر وعرضها 4.75 متر، والغرف من الناحية الشمالية مكسوة بالحجارة . ومن الناحية الشرقية توجد أساسات من الحجر يصل ارتفاعها 1.5 متر.



صورة رقم (6)

منظر عام لمباني الوحدة الجنوبية

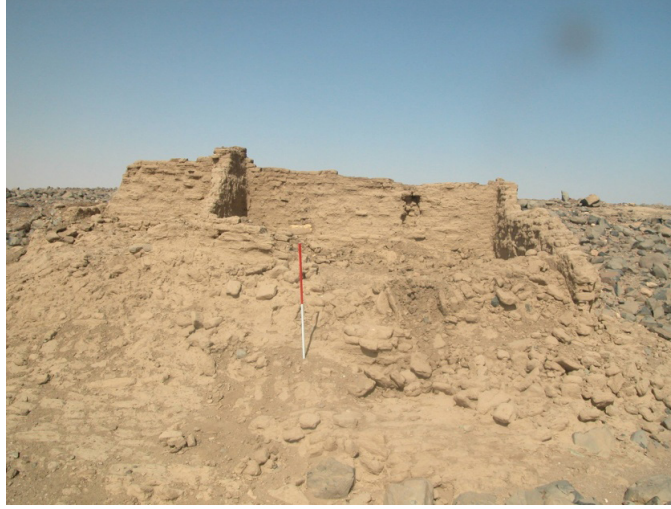
الوحدة الوسطى:

تقع في وسط الموقع وشمال الوحدة الأولى وهي مكونة من عدد من الغرف بأحجام كبيرة في شكل مستطيل منفصلة من الداخل بحوائط من الحجر تحتوي عدد من الفتحات، وهي مبنية من الحجر والطوب اللبن والطين، ويبلغ طول أحدي الغرف 12.17 متر وعرضها 9.70 متر وهي تتجه شمال جنوب. وقد تم وضع الحجارة بشكل منتظم وهي مقطوعة بشكل جيد. من الملاحظ أن هذه المباني ممتدة من الناحية الشرقية وهي تعتبر أكبر الوحدات. وتوجد مساطب من الحجر يبلغ ارتفاعها 50سم. وقد تم العثور علي نقوش في الحائط من الداخل من الناحية الشمالية وهذه النقوش في شكل نجمة وشجرة نخيل.



صورة رقم (7)

مباني الجزء الأوسط



صورة رقم (8)

غرف الجزء الأوسط

الوحدة الشرقية:

تحتوي علي عدد من الغرف المتداخلة مع بعضها البعض وهي مبنية من الحجر والطوب اللبن والطين وكذلك بها فتحات وبها أبواب ونوافذ داخلية.



صورة رقم (9)

منظر عام للوحدة الشرقية



صورة رقم (10)

حائط الوحدة الشرقية

الوحدة الشمالية:

تتكون من عدد من الغرف والتي بنيت من الحجر والجالوص والطوب المحروق واللين والطين، بها نوافذ أغلقت لاحقاً وبها كذلك مداخل صغيرة الحجم، وقد تم قياس أحدي هذه المداخل فكان ارتفاعها 1 متر وعرضها 80 مم وسمكها 50 سم، وقد استخدم الحجر في عتب الباب. ومن الملاحظ انتشار الطوب المحروق في هذا الجزء واستخدم كثيراً في بناء المباني ومنتشر بكثرة علي سطح الأرض. وفي النهاية الشمالية للوحدة توجد منطقة منخفضة وبها أساسات من الطوب اللبن والطين والطوب المحروق والحجارة، وقد تهدمت وصارت غير واضحة المعالم. وفي الناحية الشمالية الشرقية للوحدة توجد أساسات لغرف صغيرة مربعة الشكل مبنية من الطوب اللبن قياساتها (2×2 م). ما بين الودعتين الشمالية والوسطي توجد مجموعة من الغرف بعضها منها بها زخارف علي الحجارة، ومباني أخرى غير منتظمة في الشكل مبنية من الحجارة وهي مهدمة وغير واضحة المعالم.



صورة رقم (11)

مباني الوحدة الشمالية



صورة رقم (12)

زخارف باحدي غرف الوحدة الشمالية

الوحدة الرابعة:

الحوائط:

توجد عدد من الحوائط التي تفصل بين الوحدات أو التي تكون كممرات، ونجد حائط في منتصف الجزء الشمالي يمتد من قمة الجبل من ناحية الشمال الشرقي بني من الطوب اللبن والطين، ويبلغ سمك الحائط 1.5 متر في النهاية الشرقية وقد شيد بشكل مدرج أشبه بالسلام. وفي الوحدة الشمالية يوجد حائط بنيت قاعدته من الحجر ومن الأعلى بالطوب اللبن والمحروق. كما يوجد في الناحية الغربية حائط مبني من الخارج بالحجارة ومن الداخل بالطوب اللبن وقاعدته من الحجر. ومن الناحية الجنوبية يوجد حائط قاعدته من الحجر وفي الجزء الشمالي بني بالحجارة وفي الجزء الجنوبي الشرقي بني بالطوب اللبن والطين. وهناك ممر من الطوب اللبن يفصل بين الودعتين الشمالية والجنوبية. وكذلك ممر منتظم من الحجر يقود الى البرج الجنوبي الغربي. كذلك هنالك عدد من المباني في شكل أساسات من الحجر ومساطب مرتفعة ما بين 50-150 سم في الناحية الجنوبية الشرقية، ومن الملاحظ في هذه المباني عدم وجود سقف والأبواب متهدمة تماما.



صورة رقم (13)

الممر الذي يفصل بين الوجدتين

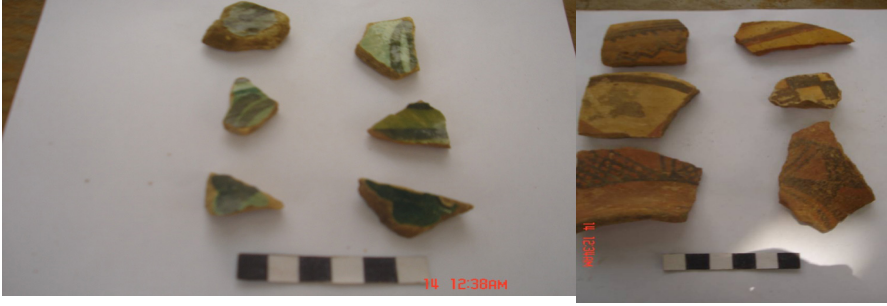
المواد الأثرية:

تنتشر علي سطح الموقع كميات كبيرة من الفخار متعدد الأنواع والأشكال والزخرفة، يغلب علي هذه القطع الألوان الأبيض والأحمر والبني والبرتقالي. أما الزخرفة فنجد الزخرفة الهندسية بأشكال متعددة من الخطوط الهندسية والأشكال المثلثة الي جانب أشكال هندسية أخرى، كما نجد الزخارف النباتية وزخرفة بخطوط حمراء وبيضاء وبرتقالية علي سطح الفخار وهنالك فخار غير مزخرف واخر مزجج منتشر أعلي الجبل وحتى أسفله.



صور رقم (14)

انينة عثر عليها في الموقع



صور قم (15-16)

مُـاذج لفخار مسيحي واسلامي في الموقع

أدوات الطحن:

يحتوي الموقع علي أعداد كبيرة من أدوات الطحن مختلفة الأشكال والأحجام منها كبيرة ومتوسطة وأخري صغيرة الحجم.

مواد البناء:

استخدم الطوب اللبن والجالوص والطوب المحروق والطين ويتركز في الناحية الشمالية وكذلك استخدمت الحجارة وهي مقطوعة بشكل جيد ورصت منتظمة خاصة في الأجزاء السفلي (أساسات).

مخلفات أثرية أخري:

يوجد في الموقع بقايا روث الحيوانات وبعض الأعشاب والرماد وأجزاء من عظام الحيوانات.

المقابر: 485 32 30 E 457 06 20 N

توجد في الناحية الجنوبية الغربية أسفل الجبل مدافن مختلفة الأشكال والأحجام، أغلبها عبارة عن مدافن دائرية وأخري بيضاوية الشكل مغطاة بحجارة الجرانيت السوداء صغيرة الحجم تعود لفترة ما بعد مروي، كما وتشير البقايا السطحية وجود قبور بحفر منحدره بغرف الدفن في الطرف الشرقي، ومن خلال الفخار السطحي يرجح أنها تعود لفترة نبته.



صورة رقم (17)

نموذج لمدفن وجد أسفل الجبل

الأهمية التاريخية لجبل سيبا:

مملكة كوكا الإسلامية:

تعتبر مملكة كوكا الإسلامية من أولى الممالك التي قامت في منطقة الدراسة (الشلال الثالث)، بل في السودان عموماً، وعلي الرغم من أن تاريخها غير واضح بصورة دقيقة ويحتاج لعمليات بحث وتقصي إلا أنه مبدئياً يمكن القول بأنه توجد ثلاث فترات لتاريخ مملكة كوكا: الفترة الأولى 866م-1500م:

قامت في هذه الفترة أمارّة كوكا النوبية بمنطقة سدلة والتي سميت أمارّة «السكراب» نسبة لمؤسسيها (سكر وجامع) وهم من الأشراف الذين قدموا من الجزيرة العربية في عهد مملكة النوبة المسيحية في عام 836م (فدوي عبدالرحمن: 2004)، وظهر الأشراف في دنقلا في منطقة مراقا ثم انتقل جزء منهم إلى سدلة وأقاموا إمارة إسلامية تحت ظل المملكة المسيحية. ويعود السكراب في الأصل إلى أبي بن كعب الأنصاري وهم الذين وفدوا على بلاد النوبة، ويقال أنهم أقاموا بالقرب من النيل بمتابعة الخور الذي يفصل بين قريتي «سدلة» و«سمت» بحثاً عن الماء والذي يسمى بـ (جامنتي) أو (جامعن أو سي) وتواجهوا مع النوبين (علي عثمان: مقابلة شخصية: 2022م). ظلت تلك الإمارة في صراع دائم مع النوبيين المسيحيين حيث واجهتها صعوبات كثيرة من أجل نشر الثقافة الإسلامية والعربية إلى أن أسلمت مجموعات كبيرة من النوبيين وعين أول ملك نوبي مسلم في بلاد النوبة. وقد ظهرت مملكة كوكا كمملكة إسلامية قوية في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي

تحت سيطرة الملوك النوبيين واستمرت هذه المملكة قوية حتي سقوط مملكة المقرة في الربع الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، الأمر الذي أدى الي ظهور الهجرات العربية الإسلامية وانتشار الإسلام بصورة أكبر (Osman2:Op. Cit: 45).

الفترة الثانية 1500م – 1700م:

تميزت هذه الفترة من تاريخ مملكة كوكا بالوجود العثماني في المنطقة والتي سيطرت علي المناطق ما بين الشلال الثالث جنوبا حتي الحدود مع مصر شمالا، ومن أهم الأسباب التي دعت العثمانيين بالدخول الي بلاد السودان هي تأمين الحدود الجنوبية لمصر وضمان سلامة ولاية مصر والتحكم علي البحر الأحمر من أجل التجارة مع الهند (عبدالرحمن ابراهيم: 1: 2005: 55). وفي عام 1532م استولي العثمانيون علي سواكن في الوقت الذي وصل فيه نفوذ الفونج الي دنقلا ثم الي الشلال الأول والثاني الأمر الذي دفع العثمانيين للتوغل في الشمال بحجة الهجوم علي الفونج حيث حدثت معركة حنكم (10 كلم جنوب الشلال الثالث) بين الفونج والأتراك العثمانيين (Menage: 1988: 152). وقد تم اختيار صاي لإقامة قلعة فيها وتم إنشاء سنجوقية جديدة لتغطي منطقة الشلالين الثاني والثالث وهي سنجوقية المحس بالإضافة لسنجوقية أبريم والصعيد، وقصد منها الحصول علي موارد السودان من ذهب وعاج وأبنوس وقطن وصمغ ودقيق وقد ألغيت سنجوقية المحس بعد عام واحد وأصبحت قلعة صاي قلعة رئيسية، واتضح من الوثائق أن القلعتين صاي وأبريم بدأ دورهما يتحول من عسكري لإداري وذلك لجمع الضرائب (عبدالرحمن ابراهيم: 1: المرجع المذكور: 56).

الفترة الثالثة 1700م-1821م:

عندما تراجع القوات العثمانية من منطقة المحس شمالا أوكلت السلطة الي ملوك كوكا وأصبحت لديها خصائصها الملوكية من ملك قائد، وظهرت متعلقات الملك من عمليات تتويج واحتفالات ومراسم التتويج التي تعتبر طقوس سياسية ودينية هامة. ومن المعروف أن اخر ملك حكم هو الملك عبد العزيز بن الزبير الذي توج في العام 1878م وحكم حتي 1912م. ويظهر من كتابات العرب أن الملك هو الحاكم المطلق وأنه يمارس صلاحياته بواسطة نواب يتم تعيينهم وقد كان يختار رؤساء الإدارات وحكام المقاطعات المختلفة. وقد كان الملك وراثيا ولكن من جانب الأم لذا كان ابن الأخت هو الوريث للعرش، وفي أحد مكتوبات امتيازات الأراضي في قصر أبريم يتحدث الملك عن نفسه: «أنا جورج الملك الحاكم لمملكة النوبة ابن أخت ديفيد الذي كان ملكا عليها». وفي الفترات المتأخرة لمملكة كوكا تحول نظام الحكم حيث انتقل مباشرة الي الابن وفي السابق كان الملك الي ابن الأخت (صالح : مقابلة شخصية: 2022م).

تتويج الملوك:

كان تتويج الملوك ميزة من مميزات العصور القديمة، وقد كان الملوك يتم تتويجهم في فترة كرمة أعلي مبني الدفوفة، وقد استمر تتويج الملوك حتي فترة مملكة كوكا الإسلامية، وكانت

مراسم التتويج تتم في قمة جبل سيسا علي بعد عشرة أميال شمال كوكا. ومن خلال الروايات الشفاهية نجد أن مراسم التتويج كانت تتم قبل أسبوع، وأن كل أهل منطقة المحس يحضرون مراسم التتويج هذه، عدا كبار السن والأطفال الذين لا يستطيعون السفر، ويجتمعون في كوكا في احتفالات متواصلة، وفي مساء يوم التتويج تتحرك الأسرة الملكية مع كل الناس الي جبل سيسا، وعلي كل الوافدين الوصول الي الجبل قبل مغيب الشمس، وقيل أنه يؤخذ الملك الجديد الي المكان الذي يجلس عليه أسلافه متجها الي الشرق، وعند الشروق يقوم القاضي بالتتويج ومعه كل الناس يحتفلون أسفل الجبل ثم تنزل الأسرة الملكية لتلحق بالناس ثم يتحركون نحو كوكا (علي عثمان: مقابلة شخصية:2022). ويكون الموكب مزينا بجريد النخل، أما الملك المتوج فإنه يحمل بجانب جريد النخل سيفا ورثه من أجداده وهذا دليل علي وراثة الملك. كما اشتهرت مواكب التتويج بل كل المسابير بنوع متميز من أنواع الطبول ويسمي عندهم بـ (الدكري) وهو موجود عند بعض الأسر في كوكا حتي الآن وقد أهمل استعماله في العشر سنوات الأخيرة.

الدراسة التحليلية:

من المعروف أن كل الحضارات القديمة أستوطنت بالقرب من النيل لتوفر المصادر الطبيعية وهذا ما نجده في منطقة الدراسة (الشلال الثالث)، حيث شلاي قبس جنوبا وكجبار شمالا، ووجود هذه الشلالات الصغيرة جعل من المنطقة مركزا تجاريا هاما وهذا يدل علي أن هذه المنطقة كانت تمارس التجارة منذ القدم. كذلك وجود الأراضي الزراعية الخصبة علي جانبي النيل ووجود اقتصاد متعدد (زراعي - تجاري - صناعات - حرف - أشغال عامة) كل هذا جعل منها موقعا مميزا للاستيطان فيها منذ فترات التاريخ القديم وحتى الآن دون انقطاع تاريخي يذكر، وهذا ما تدل عليه الآثار الموجودة في المنطقة. ونجد من أهم المواقع الأثرية الشاخصة جنوب منطقة سيسا (منطقة الدراسة) هي مدينة سيسبي التي أرخت للفترة المصرية الحديثة، وأيضا وجود مقابر تعود لفترة نبتة، هذا كله يدل علي أن المنطقة من أهم المواقع التي تم فيها استيطان منذ القدم وأيضا وجود المدافن المنتشرة غرب جبل سيسا لفترة ما بعد مروي. وبما أن هذه الفترة قد شهدت ركود في فن البناء وأصبح هنالك غياب تام للصروح المعمارية الضخمة واختفاء البناء بالحجر الرملي، وأن هنالك اعتقاد بوجود أمط من المساكن في هذه الفترة هو بناء الأكواخ أو الخيام التي تصنع من أصواف الحيوانات، فرما تم استيطان الجبل في هذه الفترة وبناء أكواخ وخيام ولكن للظروف المناخية لم تصمد هذه المباني فانهارت وعندما جاءت الفترة المسيحية تم البناء علي بقايا هذه الفترة، وهذا يتطلب إجراء الكثير من الدراسات والبحث والتقصي علي سطح الجبل حتي يتم الوصول الي نتائج بشأن مباني هذه الفترة. والانتشار الكبير لهذه المقابر يجعل الشخص يتساءل عن مقر الحاكم أو الأمير ومساكن العامة؟ فرما يكون قد تم استخدام الجبل للمراقبة أو التجارة عبر الصحراء من الجهة الغربية، وربما تم السكن فيه من قبل الجيوش لمراقبة النيل والمنطقة ويكون مقر الحاكم في الأسفل وكذلك مساكن العامة. وتشير

الدلائل أن في فترة ما بعد مروي قد تحول الاستيطان الي الضفة الغربية للنيل وهذا بدوره قد أدى لتحول طرق التجارة وطرق السفر، ومن البديهي في هذه الحالة أن يتم اختيار جبل سيسي ليصبح مقرا إداريا وسياسيا وتجاريا وأن يتم استيطانه. ومن خلال الدراسة الميدانية للمباني الموجودة في سطح الجبل والتي أرخت للعصر المسيحي (500-1500م) وهي بنيت بها الطريقة التي تبني بها مباني الفترة المسيحية، فهي تتكون من سور يحيط بها من كل الجوانب وكذلك تحتوي علي أبراج ومباني داخلية آثارها موجودة حتي اليوم وهي دالة علي وجود مسيحي مكثف في الموقع، وأيضا وجود الفخار والزخارف في شكل نجمة والتي تعرف بنجمة داوود. ونجد أن معظم المباني في الفترة المسيحية قد بنيت بهذا الطراز وتوجد فيها هذه الزخارف، أيضا يوجد فيها الفخار وهذا يدل علي أن هذه المنطقة شهدت استيطانا مكثف في هذه الفترة. وتدل الأبراج المطلة علي النيل والصحراء أن هذا الجبل قد تم استخدامه أما لمراقبة الصحراء أو النيل أو التجارة أو ربما يكون قد تم استخدامه كمقر للجيش وللمراقبة العسكرية.

كذلك وجدت مباني أخرى مع مباني الفترة المسيحية أرخت للفترة الإسلامية، ومن خلال دراستها عثر علي بعض النوافذ والمداخل التي تم تعديلها باغلاق بعضها وفتح الاخرى، وكذلك وجد الفخار الإسلامي والمزجج مما يدل علي أن الجبل قد تم استخدامه في هذه الفترة (الإسلامية). أما بالنسبة لامتداد الاستيطان شمال وجنوب منطقة سيسي والانتشار الكبير للمواقع وتعدد الفترات في هذه المواقع وخاصة المسيحية منها، فقد تم الكشف عن الكثير من القلاع والحصون والمدن المحصنة التي تعود لهذه الفترة، وأيضا كثرة المواقع الإسلامية المتمثلة في القباب والمقابر الإسلامية والخلوي والمساجد، مما يؤكد أن منطقة سيسي وما حولها قد شهدت استيطانا مبكرا وقد لعبت دورا كبير في الحراك الثقافي للمنطقة، وكان لها دور كبير في انتشار الإسلام من قبل العرب الذين استقروا أو الذين قاموا بتكوين إمارة إسلامية نوبية في ظل الممالك المسيحية (السكراب). وأيضا تشير الدلائل الي أن العلاقة بين شرق النيل وغربه كانت متصلة وكانت المراكب تقطع النيل من الشرق الي الغرب عند جبل سيسي، كما يبدو أن جبل سيسي كان ميناء نهريا للمراكب التجارية التي كانت تربط منطقة الشلال الثالث حتي الشلال الثاني. ومن الناحية الغربية يوازيه مباشرة في خط مستقيم جبل دلقو الذي يقع بالقرب من ضفة النهر، وربما كانت قمتي هذين الجبلين شرقا وغربا نقاط مراقبة وحماية للمستوطنات التي بينهم أو حولهم، وأيضا ربما المستوطنة التي كانت بشرق النيل في العصر الوسيط الي الجنوب من مدينة دلقو الحالية (جبل وهابة) ربما كانت مركزا تجاريا متصلا بجبل سيسي. وبهذا يكون قد تطور الاستيطان في منطقة سيسي ليصبح مقرا تجاريا وإداريا ثم يصبح مكانا لتتويج ملوك المحس، وأمر التتويج في التراث النوبي القديم مرتبطا بنظرية العلوم والاتصال بأعلي وذلك عبر فترة طويلة من التاريخ ابتداء من كرمة وأصبح النوبيون يتوجون ملوكهم في أعلي قمة في فترة كرمة، ولم يكن هناك جبل فاستحدثوا ذلك البناء الضخم (الدفوفة) من الطين ليتم فيه التتويج ثم كان جبل البركل وهو الذي يسمى (بالجبل المقدس) حيث كان يتم تتويج ملوك كوش وعندما جاءت الفترة المسيحية أصبح التل الذي يقع

في دنقلا العجوز هي القمة المرتفعة التي بني عليها النوبيون قصر تتويجهم ثم كان جبل سيسا للفترة المسيحية المتأخرة والإسلامية المبكرة لتتويج ملوك المحس. وهذه المنطقة في عمومها منطقة إستراتيجية وهامة حيث تقع في حوض خصب هو حوض ترعة كوكا الحالية وفيها عشرات الآلاف من الأفدنة الصالحة للزراعة الآن، وهي منطقة قريبة جدا من منحنى النيل الذي يؤدي الى جريانه من الشرق الى الغرب وفي منتصفها توجد مدينة آثارية قديمة ربما أقدم من سيسا نفسها هي مدينة «نوري» التي ذكرها كثير من الرحالة في العصور الوسطى مما يدل أن المثلث الذي يتكون من الخط الرابط بين سيسا الحالية وفقيرفتي كانت منطقة هامة جدا في التاريخ القديم والتاريخ الحديث.

لذا فإن أهمية سيسا تكمن في أنها تتوسط إقليما يبدأ من منحنى النيل في سبو وكجبار وينتهي في بداية المضيقين. وكذلك من أعلي الجبل تتم مراقبة الصحراء الواقعة غرب الجبل والتي كانت تمر بها التجارة البرية، وكل هذا جعل من منطقة سيسا منطقة هامة في عملية الاستيطان وممارسة التجارة بنوعها (النهري والبري) ووجود جزيرة آرقيري و نارنارقي بالقرب من هذا أعطته أهمية أكبر، حيث أن هذه الجزر علي النيل كانت المخابئ التي يجتمع فيها أهالي المنطقة عند ساعات الخطر خاصة عندما بدأت فلول القبائل العربية تصل الى المنطقة وبدأ الحوار بين النظام النوبي المتوارث منذ العهد القديم والنظام العربي الذي جاء مع بداية دخول العرب الى السودان. ان وجود الدليل الآثاري في منطقة سيسا الذي يمتد من العصور الحجرية مروراً بكرمة والمملكة المصرية الحديثة ومروى وما بعد مروى والمسيحية والفترة الإسلامية المبكرة وحتى الآن دليل قاطع علي أهمية المنطقة وعلي علاقتها الواسعة بقري غرب النيل وشرقه والجزائر التي في النيل.

الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة أتضح أن موقع جبل سيسا موقع إستراتيجي حيث شهد هذا الجبل فترات استيطان لفترات طويلة ومختلفة، ودل علي ذلك العديد من المباني والأبراج والفخار. كما أن تلك المجموعات لم تستوطن فقط في الجبل بل توسعت الى الجنوب والشمال والشرق والغرب. وتعتبر منطقة جبل سيسا نموذجا لدراسة استيطان الجبال، ويمكن تطبيقه علي العديد من المناطق التي شهدت استيطان مماثل لاستيطان سيسا.

عليه، ومن خلال الدراسة التي تمت تم التوصل الي عدة نتائج منها: استمرار الاستيطان في منطقة سيسا منذ فترات التاريخ القديم وحتى الآن (منذ العصور الحجرية وحتى الفترة الإسلامية)، اضافة الي أهمية الموقع الإستراتيجي للمنطقة جعلها من أهم المواقع الاستيطانية، الي جانب أن لهذا الجبل عدد من الأدوار التي كان يلعبها سابقا (اجتماعيا - سياسيا - دينيا - اقتصاديا).

المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

- (1) محمد إبراهيم إبوسليم - الساقية - معهد الدراسات الأفريقية والاسيوية-دار جامعة الخرطوم للنشر-الخرطوم-1980م.
- (2) آدمز ، وليم - النوبة رواق إفريقيا - ترجمة محبوب الترابي محمود - مطبعة الفاطمية إخوان - الطبعة الأولى القاهرة - 1984م.
- (3) فدوي عبدالرحمن علي طه - أستاذ الأجيال عبد الرحمن علي طه (1901-1969) بين التعليم والسياسة وأرجي - دار جامعة الخرطوم للنشر 2004م.
- (4) عبد الرحمن إبراهيم سعيد - الآثار العثمانية في منطقة المحس 1584-1821 -رسالة ماجستير - جامعة الخرطوم 2005م.
- (5) عبد الرحمن إبراهيم سعيد - آثار الاستيطان والعمران في منطقة الشلال الثالث في الفترة من 500 - 1500م - رسالة دكتوراه - جامعة الخرطوم 2009م.

الأرشيف:

- (1) أرشيف مشروع المحس - قسم الآثار - جامعة الخرطوم 2003م.
- (2) أرشيف مشروع المحس - قسم الآثار - جامعة الخرطوم 2004م.
- (3) محاضرة بروفيسور علي عثمان محمد صالح (النتائج العلمية لمشروع المحس) جمعية التاريخ - قاعدة الشارقة - جامعة الخرطوم 2003م.

المقابلات:

- (1) بروفيسور علي عثمان محمد صالح ، قسم الآثار ، جامعة الخرطوم -2022م.

المراجع الإنجليزية:

- (1) Adams, W.Y 1977: **Nubia Corridor to Africa**-London
- (2) Celbi, Evilya. 1938: **Seyahatuamesi: Misr, sudan , Habes**: 197280-, Istanbul.
- (3) Dawoud, A.S& Ahmed, F a Vail. 1973: **Geology of the Third Cataract**. Northern Province. Khartoum.
- (4) Osman, A. 1 1998: **The post –Medieval Kingdom of Kokka**; means for a letter understanding of the Administration of Medieval Kingdom of Dongola, by J,N, Plumley, pp,184196-,London. .SARS. (ed)
- (5) 2 1998: **The Historical Settlement Pattern of the third Cataract Region: A model for the Exploration of its Archaeological Stages** “presented to the 10th International Conference of the International society for Nubian studies, Boston.
- (6) Menage, V. 1988:”**The Ottomans and Nubia in the Sixteen Century**” Annual Islamologiques, vol.XX1V, Cairo.